



سما عالية

قوة فكرة وحالة إخراجية خاصة

قراءة نقدية

محمد بسام الحسيني

في دور «أم مساعد»، الأم المتارحة بين الطبيعة والتردد والتي يقلقها تأخر كنفها في الحمل، والتي تستغرب التحولات في حياة الأسر مع دخول الخدم والطباخين والتركيز على تعليم البنات، وكلها أمور مستجدة.. والأمر ذاته ينطبق على الثنائي «مساعد» (عبدالله السيف) الشاب العملي والناصح والمعتدل والمنكب على العمل التجاري تسييراً لأعمال والده وزوجته «ليلي» (فوز الشطي) والأخت الصغرى «سميرة» (غادة الكندري) التي تبين لنا أن «ثورة» شبيخة لم تكن حالة فردية.. وأخيراً، شخصيتنا «صالح» (عبدالله التركماني) المحامي الواعي والشاب «محموظ» (أحمد سعيد) الذي يمثل بروز طبقة وسطى متعلمة بعد هجرة وفقر.

من الأمور البارزة أيضاً قدرة الفنان القدير جاسم النبهان على تقديم نفس الدور بطريقة جديدة في كل مرة وفي أكثر من عمل، وهو الوحيد الذي يُكرّر من غير أن يُشعر بالملل والتكرار.. ممثل لن يتكرر.. حضوراً وأداءً وصوتاً، سواء كان أباً قاسياً أو طبيباً، شريفاً أو مسالماً.. أو أباً كان الدور.. ووجوده يعطي ثقلاً واضحاً لكل عمل يشارك فيه على كثرة المشاركات.

إخراجياً، بصمات المخرج محمد دحام الشمري تلقي بثقلها على الأجزاء، عدسته العاشقة للبحر دائماً لا تغيب عنه، وهنا البحر رمز الحرية والأفق والتحدى لا يُستخدم جمالياً فقط، بل يرافق حضوره فكرة العمل الذي يمكن أن نصفه بحالة إخراجية خاصة.

واضحة عناية المخرج بالتفاصيل وتشكيل لقطاته واحدة تلو الأخرى والإضاءات وتماسك الرؤية الإخراجية وتجانسها في نقل الحبكة التي تدور فيها الأحداث، والأهم حرصه على التجديد في زوايا التصوير وتنوع الكادرات مع كل عمل حقوي يقدمه، إذ يخصص لكل عمل جديداً من صندوق أدواته تسهل ملاحظته، فهو يلفت الناظر في كل انتقال لمشاهده الخارجية، فضلاً عن استغلال خيارات جديدة في اللقطات الداخلية، مسهلاً على العين أن ترى مشهدية مختلفة عن المعتاد.. الشمري مخرج حر غير مقيد يهتم بالكلية قدر اهتمامه بالتفصيلي، وهذه سمة واضحة تحمي أعماله الكبرى من خطر النمطية.

الموسيقى التصويرية ترافق المشاهد مطولاً، لكن من دون أن تبلغ حد الإزعاج، بل إن استدامة استخدامها عامل مساعد جداً على تعزيز الصورة الرومانسية والحالة التي تقتضيها الأحداث، لاسيما في قصة الحب الرئيسية بين «راشد» و«شبيخة»، والذي يحافظ على جذوته طوال الحلقات. «كيف ستدافعين عن المظلومين ولا تستطيعين الدفاع عن نفسك ابدي أنت بالمطالبة بحقوقك». جملة يقولها «راشد» لشبيخته «سميرة» عندما جاءت تطلب مساعدته لإقناع والدها بفكرة حصولها على وظيفة.. موقف محوري يلخص فكرة العمل.. تحرر المرأة يكون نتيجة كفاحها وإنبات وجودها في المجتمع قبل أن يكون عبر دعم المتورين والتقدميين فيه من الرجال.

«سما عالية» إضافة جميلة إلى سجل الدراما الخليجية.

بموازاة صراع الشخصيات، لكل عمل درامي فكرة هي الغاية التي يُبنى من أجلها.. وكلما كانت أقوى وأكثر واقعية وملائمة للمجتمع أو الأفراد أو الأسر، كان وقعها أكبر.. كثير من الأعمال تنجح بشكل رئيسي بسبب قوة فكرتها.

«سما عالية» من هذه الأعمال، فهو يتناول الثمن الذي يدفعه الجيل الأول في كل عملية تحول قصوى أو تغيير اتجاه يأخذه المجتمع على مستوى العادات والتقاليد، فكل تغيير يُقابل بممانعة.. إنه قانون من قوانين الطبيعة، وفي حياة الإنسان كلما كانت الممانعة أكبر كان الظلم أكبر والقسوة أشد على دعاة التغيير.

العمل من تأليف صالح النبهان وشبيخة بن عامر، ومن ينظر إليه من زاوية شخصياته أو حتى أحداثه يجدها أكثر من عادية، فلا جديد في قصص الأفراد من آباء وأمّهات وأبناء، ولا في موضوع الدراسة في مصر، وقد أضحى في أعمال مثل «دفعة القاهرة» للكاتب هبة مشاري حمادة، خاصة لجهة ثيمات الحياة في عاصمة العرب وكل جميل فيها.. الجديد هو تجربة شبيخة وراشد اللذين يمثلان رمزين في زمن تحولات كبرى فرضتها التغيرات الاقتصادية والثقافية وحتى المد السياسي لأحداث ما بعد الحرب العالمية الثانية وانقسام العالم لمعسكرين وما رافقه من نشوء حركات تقدمية وتحريرية وأثر ذلك على كل بلد في العالم وبينها الكويت.

يتسم العمل بسيناريو سليم وترتيب تصاعدي ومنطقي للأحداث ومعزز بحوار حيوي ومتناغم مع ما تقتضيه الواقعية.. ففي كل حلقة ومن البداية إلى النهاية حوارات مكتوبة بانسيابية تؤدي دورها في تعزيز المسار الدرامي من دون تنميق زائد.

كعزف البيانو أو الأجزاء الحاملة للمقدمة، تلمضي الأحداث على إيقاع قصة زواج تقليدي لـ «راشد» (محمد العماني) و«شبيخة» (شيماء سليمان)، والذي رتبته الأهل، لكنه بدأ «ثورياً» عندما طلب «راشد» أن يرى زوجته المستقبلية قبل إتمام الارتباط، ضارباً على وتر اجتماعي حساس في ذلك الوقت.. وشاءت الظروف أن يجمعهما نفس الطموح والنفحة الليبرالية، فبعد الدراسة في مصر تعود «شبيخة» خالعة العباة سفوراً وتشرع في العمل خارج المنزل وتقود سيارة وترغب في تعلم الموسيقى وتهتم بالكتب والصالونات الثقافية، وهي جملة أمور كانت مستحيلة بالنسبة لها قبل أعوام قليلة، ومن غير غطاء «راشد»..

هذا الوضع يستثير والدها وإخوانها، فلا يتردد أحدهم في مطاردتها لتصطدم بعمود إثارة وتجهض جنينها.. الصلة مع المجتمع وعاداته أقوى من صلة الرحم بين الأخ وشقيقته..

كل باقى الخطوط في المسلسل هي خطوط مكررة كما أسلفنا، لكن ينهض بها تمثيل لا تشوبه ثغرات بفضل إسهام موفيق للادوار مع تفوق للثنائي «المتانز والمنسجم» حمد العماني وشيماء سليمان في بطولة العمل وظهور لافت للفنانة زهرة الخرجي



الفنان القدير جاسم النبهان في عين كاميرا المخرج محمد دحام الشمري



راشد (حمد العماني) مع صديقة المحامي صالح (عبدالله التركماني) خلال نقاش حول حدود تقبل التغيير الاجتماعي



شبيخة (شيماء سليمان) وراشد.. قصة حب كبير وأحلام مشتركة



فوز الشطي - ليلي



عبدالله السيف - مساعد



زهرة الخرجي (أم مساعد) في دور مميّز



مشهد جماعي من العمل